

مصعب بن عمير

انجلت غزوة {أحد} عن استشهاد سبعين صحابياً، هم من خيرة أصحاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم-، وتحين لحظة الوداع بين الأحبة، ويقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- مصلياً عليهم، وفي قلبه الحنين والرحمة والحزن العميق، وهو يوارى صحبه الأوفياء الثرى، وينظر إلى مصعب بن عمير وقد قصر عنه كفته، ولم يجد الصحابة ما يغطون به قدميه، فيأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يغطوها بالإنخِر، وترجع الذاكرة بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلى تلك الحقبة بمكة، والرسول لم يبعث في قومه بعد، ومصعب بن عمير الابن المدلل لأبويه، يرقل بالحريز، ويتطيب بالمسك، ويتنعم بالدنيا التي حيز له منها الكثير .

ويبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- برسالة السماء العادلة، ويسمع مصعب ببعثته، ويعجبه ما جاء به الإسلام من قيم تلاقى لديه قبولا، وتتعشقها نفسه الزكية التي لم تفسد طبيعتها بهرجة الدنيا المتاحة له، ويقدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في دار الأرقم فيسلم، وتتغير حياة المنعم الرّفِيه، لتغدو الدنيا وما فيها من نفائس وطيبات، هيئة عليه كريمة إلى نفسه، وتحلّق روحه الطيبة في أعالي المنى، راجية ذلك الوعد الصادق من الصادق المصدق -صلى الله عليه وسلم-، وهو يعد أصحابه المستضعفين في مكة بالفرج والنصر والتمكين، وتسري فيهم روح نبيهم المنبعثة في كل اتجاه، تدعو إلى

رَبِّهَا، وتبدأ أولى بشائر النَّصر في العقبة الأولى، وتتوافد القلوب المؤمنة الرَّغبة في سعة التوحيد بعد ضيق الشرك وظلمه وظلامه،

ويرسل الأنصار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، يطلبون منه أن يرسل إليهم من يعلمهم كتاب الله ويفقههم في الدين، فيرسل إليهم {مصعب بن عمير} وهو يراه أهلاً للأمانة، مؤهلاً لتلك السفارة العقائدية الدعوية، ونشط مصعب السفير المؤتمن، على أمر الله ودينه حتى فشا الإسلام في المدينة المنورة،

ولم يبق فيها بيت إلا ودخله الإسلام، ويستأذن مصعب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في أن يجمعهم يوم الجمعة، فيأذن له بذلك، وتقدم قافلة المبايعين في العقبة الثانية يتقدمها مصعب بن عمير، وقد أدى أمانته على أتم وجه، وترحل قوافل المهاجرين إلى المدينة المنورة، وفيهم مصعب مهاجراً، منخلعاً من ماله ونعيم دنياه، مقبلاً على دعوته وجهاده، ويراه النبي - صلى الله عليه وسلم- يوماً، وقد ارتدى إهاب كبش، لقلّة ماله، ويتذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- المشفق ذلك الشابّ الناعم المرفّه العطر في مكة قبل الإسلام، ويراه اليوم لا يملك ثوباً يرتديه، فيقول لأصحابه {انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيتته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون.

وتمتدّ حياته القصيرة، ما بين فقه وجهاد ودعوة وصحبة، حتى تكون غزوة أحد، ويحمل مصعب اللواء ويضربه أحد المشركين فيقطع يمناه الرّاية، فيقول {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} (144) سورة آل عمران ويحمل الرّاية بشماله فيقطعها المشرك، ومصعب الأمين على الرّاية، يحتضنها بعضديه وهو يقول {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل}

فيحمل عليه ابن قمنّة المشرك بالرمح فيستشهد، ويمرّ به المصطفى - صلى الله عليه وسلم- وهو شهيد فيتلو قول الله تعالى {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (23) سورة الأحزاب

فتكون شهادة الرسول - صلى الله عليه وسلم- ، بحق مصعب أنه قد صدق عهده مع الله.